

﴿ فتمثل لها بشراً سوياً ﴾

المهندس
عبد
الرفاعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

.. لقد بين القرآن الكريم أنه حين الموت وفي المنام ، تكون الأنفس البشرية خارج أجسادها المادية ، لأن الله تعالى يكون قد توفأها ، وبالتالي استرجعها فأخرجها من العالم المحسوس لقوانين المكان والزمان ، إلى عالم ما فوق المادة والمكان والزمان ..

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ

عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

﴿ [الزمر : ٤٢] ﴾

.. واضح في هذه الآية الكريمة أن النفس البشرية يتوفأها الله تعالى في منامها ، وحين موتها ، فيسترجعها من عالم المادة والمكان والزمان الذي تُسجن فيه في قفص الجسد ، إلى عالم ما فوق المادة والمكان والزمان الذي أتت منه قبل حلولها في الجسد .. وواضح في هذه الآية أن النفس التي لم تمت يُرسلها الله تعالى في جسدها حين اليقظة ، وفي هذا بيان صريح أن النفس هي الوعي والذات ، وهي الكيان المُمتحن في هذه الدنيا ، عبر سكنها في الجسد الحي ..

فأصل الإنسان هو النفس المحرّدة عن عالم المادّة والمكان والزمان ، والتي تدخل عالم المادّة والمكان والزمان ، وتخضع لقوانينه عبر الجسد المادّي الحيّ .. ولذلك فالخطاب القرآني الموجّه للإنسان ، هو خطابٌ موجّه - في الأصل - إلى النفس ، فالإنسان نفسٌ تُمتحنُ في وعاء الجسد ..

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [الأنعام : ٦٠]

إننا نرى أنّ الخطابَ موجّهٌ إلى النفس الساكنة في الجسد .. فكلمة ﴿ يَتَوَفَّكُم ﴾ هي - كما نرى - خطابٌ للإنسان كنفسٍ محرّدةٍ عن الجسد .. والصورة القرآنيّة التالية تُشير إلى هذه الحقيقة ..

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ أَلَيَْوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ [الأنعام : ٩٣]

فالنفس الإنسانيّة هي الذات الممتحنة في هذه الدنيا ، وهي التي ستُحاسَبُ في الآخرة ﴿ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ [النحل : ١١١] وقد بيّنا في النظريّة الثانية (القدر) أنّ الإنسان الممتحنَ في الحياة الدنيا ، مكوّنٌ من عنصريّن هما النفس والجسد ..

الإنسان = نفس + جسد

.. إنّ النفس البشريّة هي التي تحسّ بالألم واللذّة ، وبوّاباتها إلى هذه الأحاسيس في عالم المادّة والمكان والزمان هي عناصر الجسد الحيّ .. وحينما تُغادر الجسد ، فإنّ

لأحاسيسها بواباتٍ أخرى غير هذه البوابات الماديّة ، لأنّها تكون قد انتقلت إلى عالمٍ آخر غير ماديّ ..

فأثناء أحلامنا في النوم نحسّ باللذّة والألم ، على الرغم من أنّ الجسد لم يتعرّض لأيّ مؤثرٍ ماديّ يؤدّي إلى تلك الأحاسيس .. وحين خضوعنا للتخدير الجراحي ، لا نحسّ بالألم على الرغم من تعرّض أجسادنا للعمل الجراحي ، وسبب ذلك أنّ أنفسنا كانت أثناء التخدير خارج أجسادنا ، وحين عودتها إلى هذه الأجساد بعد زوال تأثير مادّة التخدير ، يبدأ إحساس أنفسنا بالألم ..

.. ما نريد قوله هو أنّ النفسَ في المنام ترى دون آليّة العين الضوئيّة ، وتسمع دون آليّة الأذن السمعيّة ، و..... ، وما نريد قوله أيضاً أنّ تعرّض الآليّات الماديّة لأحاسيسنا (أعضاء جسدنا) للعمليات الجراحيّة أثناء التخدير ، لا يُرافقه ألمٌ ، لأنّ أنفسنا التي تحسّ بالألم تكون خارج أجسادنا .. وكلّ ذلك أدلّةٌ عقليّةٌ على أنّ النفسَ جوهرٌ غير ماديّ ، وتتفاعل مع عالم المادّة والحسّ عبر الجسد الحيّ الذي تسكنه ..

.. ومّا يؤكّد أنّ النفس مجردةٌ عن المادّة ، هو أنّنا أثناء النوم لا نحسّ بالزمان ولا

بالمكان ..

.. إنّ الجسدَ الحيّ بحياته ونبضه وحركة مكوناته الداخليّة ، ليس أكثر من وعاءٍ للنفس ، وآليّةٌ ماديّةٌ لأحاسيسها في الدنيا .. والجسد يعمل - عبر الحركات الإراديّة - بأمر هذه النفس ، ويستجيب لشهواتها ورغباتها .. بالمقابل فإنّ النفسَ عندما تحلّ في الجسد تُصبح محكومةً لإطار المادّة والمكان والزمان الذي ينتمي إليه الجسد .. فالعلاقة بين النفس والجسد تشبه - إلى درجةٍ ما - العلاقة بين السائل والوعاء الذي يحوي هذا السائل ، ففي حين أنّ السائل هو الذي يُعطي الوعاءَ قيمته الوظيفيّة ، فإنّ الوعاء يفرض على السائل شكله وتكوينه داخل هذا الوعاء ..

.. ونحن لا ننكر - أبداً - العلاقة بين النفس والجسد ، فأثناء النوم تعود النفس إلى الجسد عند عتبة محدّدة من التأثير على هذا الجسد .. والتخدير الجراحي الذي يؤدي إلى إخراج النفس من الجسد ، هو مادة نضعها في هذا الجسد ..

.. ولكنّ هذا لا يُلغي الانفصال التام بين النفس والجسد ، اللذين ينتميان إلى عالمين متميزين ، لكلّ منهما خصوصيته الخاصّة به ، هما عالم ما فوق المادة والمكان والزمان ، وعالم المادة والمكان والزمان ..

.. هذه الزوجيّة بين النفس والجسد نراها تتجلّى في إدراكنا للأمور والأشياء في حياتنا ، عبر زوجين مختلفين من الإدراك ..

[١] - هناك مسائل نتصوّرها ككلياتٍ مجردة ، دون أن نستطيع تصوّر نقيضها ، ولا بأيّ شكلٍ من الأشكال .. فعقلنا الذي يتصوّر الاثنين (كرقمٍ مجردٍ عن أيّ جزئيةٍ ماديّة) أكبر من الواحد ، لا يمكنه تصوّر نقيض ذلك وهو أنّ الواحد أكبر من الاثنين ، وذلك في ساحة الكليات المجردة عن الجزئيات الماديّة ..

.. هذا التصوّر يتبع - في النهاية - للنفس المجردة عن عالم الجزئيات .. ولا يمكننا تصوّر هاتين المسألتين المتناقضتين إلّا إذا أنزلناهما إلى عالم الجزئيات (عالم المادة والمكان والزمان) .. فالتفاحة الكبيرة أكبر من تفاحتين صغيرتين ..

.. ومن هذه الساحة (ساحة الكليات المجردة عن الجزئيات الماديّة) التي تنتمي إليها النفس المجردة ، تنبع الإرادة التي يملكها الإنسان .. وقد رأينا في النظرية الثانية (القدر) كيف أنّ تعلق الإرادة^(*) بالنفس المجردة عن عالم المادة والمكان والزمان ، يتجلّى في كتاب الله تعالى عبر عدم تعلق مسألتين متناقضتين بإرادةٍ واحدة ..

(*) كُنّا قد عرفنا الإرادة في النظرية الثانية (القدر) بأنّها : القصد والهدف والغاية ، وأنّها دون الأخذ بالأسباب ، وتحوّل إلى مشيئة بعد تحقيق الهدف المراد من خلال التفاعل مع الأسباب الماديّة ..

.. فلما كان اليسرُ نقيضَ العسر ، فإننا نرى عدمَ عطفهما على إرادة واحدة ،

وبالتالي نرى تكرار كلمة ﴿ يُرِيدُ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥]

وكذلك الأمر بين الحرج والتطهير :

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦]

.. وكذلك الأمر بين السوء والرحمة :

﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ [

الأحزاب : ١٧]

.. أمّا إذا كانت المسألتان غير متناقضتين ، فمن الممكن عطفهما على إرادة واحدة

.. فالتبيان والهداية مسألتان ليستا متناقضتين .. بل متكاملتين ، ولذلك يُمكن تعلقهما

بإرادة واحدة :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء : ٢٦]

.. وكذلك الأمر بين التطهير وإتمام النعمة :

﴿ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ٦]

.. وكذلك الأمر بين إيقاع العداوة والبغضاء وبين الصدِّ عن ذكر الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْمَيْسِرِ

وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩١]

.. وهكذا .. فالعقل المجرد والإرادة ، يتبعان للنفس المجردة عن الجسد وعن عالم

الجزئيات المتناقضة ..

[٢٦] - الجزئيات المادية نستطيع تصوورها وتصور نقيضها في الوقت ذاته .. فتصورنا أن انخفاض درجة الحرارة يؤدي إلى تقلص أقطار الجسم ، لا يمنع من تصورنا نقيض ذلك ، وهو أن انخفاض درجة الحرارة يؤدي إلى تمدد أقطار الجسم ، فنحن نعلم أن الماء في الدرجة (+٤) مئوية ، تبدأ أقطار جسمه بالتمدد مع انخفاض درجة الحرارة .. هذا التصور الذي يحمل المتناقضات في الوقت ذاته ، يتبع في النهاية إلى تفاعل النفس المجردة (بعد حلولها في الجسد المادي الذي ينتمي إلى عالم المتناقضات) مع عالم الجزئيات الذي يجوي المتناقضات ، وهو ذاته التصور الذي أنزلناه من ساحة الكليات المجردة إلى ساحة الجزئيات المتناقضة ، حينما تصورنا التفاحة الكبيرة أكبر من تفاحتين صغيرتين ، بعد عجز تصورنا العقلي المجرد في ساحة الكليات عن تصور الواحد أكبر من الاثنتين .. وساحة الجزئيات المتناقضة هذه هي - كما رأينا في النظرية الثانية (القدر) - ذاتها ساحة المشيئة .. فقد رأينا كيف أنه - في القرآن الكريم - من الممكن ارتباط المشيئة الواحدة بمسألتين متناقضتين ..

.. فبسط الرزق هو نقيض التضيق فيه ، وعلى الرغم من ذلك نرى تعلق هاتين

المسألتين المتناقضتين بمشيئة واحدة :

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد : ٢٦]

.. وكذلك الأمر في مسألتَي الحو والإثبات :

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّطُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد : ٣٩]

.. وكذلك الأمر في مسألتَي التقدّم والتأخر :

﴿ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر : ٣٧]

.. ولذلك عرفنا المشيئة بأنها : تفاعل الإرادة النابعة من النفس المجردة ((والتي تنتمي إلى ساحة الكليات المجردة عن الجزئيات المتناقضة)) مع الأسباب (الجزئيات المتناقضة) في عالم المادة والمكان والزمان (عالم الجزئيات) .. وبالتالي فحمل المشيئة للمتناقضات في الوقت ذاته ، يتبع لعالم الأسباب (عالم الجزئيات) الذي هو ساحة تفاعل هذه المشيئة وهكذا نرى التوازي التام بين المعادلات التالية ..

جسد حي	+	نفس مجردة	=	الإنسان
تفاعل مع الأسباب (الجزئيات)	+	إرادة	=	المشيئة
امتلاك التفاعل مع الجزئيات	+	امتلاك التفاعل مع الكليات	=	خلافة الإنسان لله تعالى

.. ففتاعلنا - في الحياة الدنيا - مع أيّ مسألة ، يكون إرادةً بإدراك الكلية المجردة المرتبطة بهذه المسألة ، عبر تصوّر الهدف والقصد والغاية تجاه هذه المسألة .. ويكون مشيئةً بالعمل من خلال الجزئيات المادية (الأسباب) لتحقيق هذه الكلية في عالم المادة والمكان والزمان ..

.. والإنسان - في حياته الدنيا - يملك إرادةً مستقلةً خاصةً به ، تتبع - كما رأينا في النظرية الثانية (القدر) - من نفسه المجردة عن عالم المادة والمكان والزمان .. وهذه الإرادة قد تختلف عما يريد الله تعالى ، فقد يريد شيئاً - أو أمراً - لا يريد الله تعالى ..

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [الأنفال : ٦٧]

.. ولكن .. هذه الإرادة المستقلة الخاصة بذات الإنسان ، سواء التي توافق ما يريد الله تعالى ، أم التي تخالف ما يريد الله تعالى .. هل يستطيع الإنسان تنفيذها في عالم المشيئة عبر تفاعل إرادته مع الجزئيات (الأسباب) دون أن تكون هذه الأسباب مسخرة بين يديه ؟ .. بالطبع لا يستطيع إلا بتسخير الجزئيات المادّية (الأسباب) بين يديه ..

.. ولما كانت هذه الجزئيات المادّية مخلوقة لله تعالى ، وهي بحاجة - كما رأينا - في كل لحظة لله تعالى حتى يعطيها حيثيات وجودها في هذا العالم الحسي لكي تقوم فيه ، ولما كانت هذه الجزئيات (الأسباب) مسخرة من الله تعالى لتحقيق مرادنا ، فإن مشيئتنا لا تخرج - أبداً - عن إطار مشيئة الله تعالى ، فلولا الجزئيات المادّية المسخرة بين أيدينا ، ما استطعنا تجسيد إرادتنا إلى مشيئة في عالم الجزئيات (عالم المادّة والمكان والزمان) الذي نُمتحن فيه ..

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠]

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩]

.. والقرآن الكريم يُشير إلى عنصري الإنسان (النفس ، الجسد) ، وذلك حسب السياق القرآني الذي يصف هذا الإنسان .. ففي بعض المواقع يُلقى القرآن الكريم الضوء على خلق الإنسان النفس ، وفي مواضع أُخرى يُلقى الضوء على الإنسان الجسد ..

.. إن مسألة خلق الإنسان النفس ، قبل خلق الجسد ، نراها بشكل جلي في الصورة القرآنيّة التالية ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الأعراف :

[١١]

.. الخطاب - كما نرى - يصف البشريّة جمعاء ، فأفراد البشريّة جمعاء يخاطبهم الله تعالى مبيناً لهم أنه خلقهم كأنفس ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ .. بعد ذلك تم إعطاء هذه الأنفس صورها الخاصّة بها ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ .. بعد ذلك أتى الأمر الإلهي للملائكة

بالسجود لآدم عليه السلام ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ .. وهو الأمر الذي سبق خلق الجسد المادّي لآدم ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٨]

.. لقد ذهب الكثيرون إلى أنّ العبارة القرآنيّة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ تعني آدم عليه السلام لوحده (كجسد) ، وكذلك العبارة ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ .. نقول : إنّ خلق جسد آدم عليه السلام تمّ - كما يؤكّد القرآن الكريم - بعد الأمر الإلهي بالسجود لآدم ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ .. بينما نرى أنّ هاتين العبارتين تصوّران مرحلتين تمتا قبل الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ ، وهذا يناقض تماماً ما يذهبون إليه ... هذا بالإضافة إلى أنّ العبارة القرآنيّة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ ترد - كما نرى - بصيغة الجمع (لتشمل البشريّة جمعاء) ، وأنّ العبارة القرآنيّة ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ خاصّة بآدم عليه السلام وحده ..

.. وهكذا فالإنسان - كنفس - موجودٌ في عالم الكليّات ، وذلك قبل ولادته في عالم الجزئيّات (عالم المادّة والمكان والزمان) .. وبعد موته تعود نفسه إلى عالمها ، ويبقى جسده المادّي في هذا العالم ليتحلّل إلى جزئيّاته ، ويعود إلى التراب ..
.. وأشار القرآن الكريم إلى الإنسان النفس ، كذاتٍ مجردةٍ عن علائق الجسد ، وعن عالم الجزئيّات ..

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء : ٣٧]

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ [المعارج : ١٩ - ٢١] ﴾

.. فعجلة الإنسان ، واستعجاله لمعرفة الغيب ، وهلعه ، وجزعه من الشر .. كل

ذلك صفات سلبية ، تتبع للنفس المجردة عن الجسد المادي ..

.. وأشار القرآن الكريم إلى الإنسان الجسد ، الممتحن في عالم الدنيا ، في العديد من

آياته الكريمة ..

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأنعام : ٢]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦]

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [النحل : ٤]

﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [نوح : ١٧]

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ٢]

.. إذا علينا - حينما نقرأ القرآن الكريم - أن نُميّز في المراد الإلهي بين الإنسان

النفس ، وبين الإنسان الجسد ، تمييزاً معياره القرآن الكريم ، حتى لا تختلط علينا المسائل ،

وحتى ندرك مُراد الله تعالى في كتابه الكريم إدراكاً سليماً .. وهذا يُوازي تمييزنا بين

الإرادة والمشية ، ففي حين أن الإرادة ترتبط بالإنسان النفس ، فإن المشية ترتبط

بالإنسان (نفس + جسد) ..

.. وهذه الزوجية (نفس مجردة + جسد حي) لا تُوجد إلا في الإنسان ..

فالحيوانات تملك أجساداً حيّةً وغريزةً فطرهاً اللهُ تعالى عليها ، ولكنها لا تملك نفساً مجردةً

، وبالتالي لا تملك إرادةً ولا عقلاً ، وبالتالي تتفاعل مع الجزئيات فقط ، دون أن تتفاعل

مع الكليات .. فتفاعلها مع الجزئيات من أكلٍ وتمتّع ، لا تستطيع أن تنطلق منه نحو إدراك

الكليات الكامنة وراء هذه الجزئيات ..

.. وقد بيّن القرآن الكريمُ بشكلٍ جليٍّ أنّ النفسَ خاصّةً – من بين المخلوقات – بالإنسان .. ففي قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٣٢] .. لو كانت الذبابةُ نفساً ، لكان حُكْمُ من يقتلها كحكم من يقتل الناس جميعاً .. فقوله تعالى ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا ﴾ ، يشملُ أيّ نفسٍ ، وقوله تعالى : ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، يُؤكّدُ أنّ النفسَ خاصّةً بالإنسان ، وبالتالي فمن يقتل إنساناً فكأنما قتل الناس جميعاً ..

.. وقوله تعالى ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٣] .. يُؤكّدُ حقيقةً ما نذهبُ إليه ، فالحيوان تحكّمه الغريزة ، ولا يوجد عنده أمرٌ بالسوء ولا بغير السوء ..

وقوله تعالى ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٢١] ، يُؤكّدُ – أيضاً – صحّةً ما نذهبُ إليه ، فالحيوانات لا تجيءُ يوم القيامة مع كلٍّ منها سائقٌ وشهيد .. أما بالنسبة لعالم الجنّ ، فكائناته مخلوقةٌ من النار كما يؤكّد القرآن الكريم ..

﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٧]

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥]

وصفات الجنّ تتبع لصفات النار ، كما أنّ صفات الإنسان (الجسد) تتبع لصفات الطين والتراب .. فالسرعة عند الجنّ عاليةٌ تُقارن بسرعة الضوء ، وماهيّة الخلق عند الجنّ تتحمّل هذه السرعة ، لأنّ الجنّ مخلوقٌ من النار .. بينما السرعة عند الإنسان هي ضمن حدود ما يتحمّله جسمه ، فلا يستطيع الإنسان الانطلاقَ في الفضاء بسرعاتٍ عاليةٍ (مقارنةً مع سرعة الضوء ومع السرعة التي يتحرّك بها الجنّ) ، لأنّ جسم الإنسان –

حينئذٍ - يقترب من التحول إلى طاقة ، وبالتالي تتغير صفات الجسم تغيراً لا يتحمله الإنسان ..

.. وعالم الجنّ عالمٌ مستقلٌّ لا يمكننا أن نقارنه بعالم الإنسان ، لا من حيث ماهية الخلق ، ولا من حيث الصفات ، ولا من حيث طبيعة التكليف (كما سنرى في الفصل الثاني) .. وما بين العالمين تُوجد مقابلةٌ في التسميات القرآنية ، ففي حين أن الكلمات (الإنسان ، الإنس ، الناس) تصف عالم الإنس ، فإن الكلمات (الجنّ ، الجنّ ، الجنّة) تصف عالم الجنّ ..

.. واستقلالية الخلق بين عالمي الإنس والجنّ ، ليست فقط في ماهية الخلق وفي الصفات وفي طبيعة التكليف ، إنما تتعدى إلى الترتيب في زمن الخلق .. فالجان مخلوقٌ من النار قبل الإنسان الذي خُلِقَ فيما بعد ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ

مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٦ - ٢٧]

.. وهذا الاستقلال في الخلق ليس فقط في الدنيا ، إنما سيستمر في الآخرة ، فالجان سيبقى جاثماً ، والإنس سيبقى إنساً ..

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ﴾ [

الأعراف : ٣٨]

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا نَحْتًا

أَقْدَامَنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت : ٢٩]

﴿ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن : ٥٦]

﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن : ٧٤]

.. ولما كان جسمُ الإنسان مكوّنًا في النهاية من ذرّاتٍ ، ولما كانت الذرّة عبارةً عن طاقةٍ مُحتزلةٍ في حيز المكان الذي تشغله الذرّة ، فإنّ تحرير الطاقة من ذرّات جسم الإنسان يعني تحويلَ هذا الجسم من حالة الوقود إلى حالة الطاقة (النار) .. بينما في عالم الجنّ نرى أنّ ماهيّة الخلق هي أصلًا من النار ، وبالتالي لا يمكن اعتبار الجنّ وقودًا ، لأنّه - أصلًا - طاقةٌ من النار .. هذه الحقيقة يصوّرها القرآن الكريم في الصورتين القرآنيّتين التاليتين ..

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة : ٢٤]

﴿ قُورًا أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦]

.. فلو أتى النصُّ القرآنيُّ على الشكل (وَقُودُهَا الْجَنُّ وَالنَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) ، لكان الجنُّ مخلوقًا من ماهيّة الوقود الذي يتحوّل إلى طاقة (نار) ، ولتتأف ذلك مع الآياتِ الكريمة التي تؤكّد أنّ الجنّ مخلوقٌ من النار ..

.. وما بين عالمي الإنس والجنّ ، كعالمين مستقلّين في الخلق والصفات وطبيعة التكليف ، يبرز مفهوم الشيطان الذي يتعلّق بهذين العالمين على حدّ سواء .. فما هو الشيطان ؟ .. وما علاقته بعالمي الإنس والجنّ ؟ ..

.. إنّ الملائكة ككائناتٍ نورانيّة لها وجودها وعالمها المستقلّ ، هي كائناتٌ لا تعصي الله تعالى أبدًا .. أمّا الملائكة كصفةٍ تعني الانصياعَ الكاملَ لأمرِ الله تعالى وعدمَ عصيانه ، فتقابلها صفة الشيطان التي تعني التمردَ على أمرِ الله تعالى ، وعصيانه ..

.. وصفةُ الشيطان هذه تمثّلها مئة بالمئة إبليس ، الفرد الذي ينتمي إلى عالم الجنّ ، والذي كان قبل تمثّله لهذه الصفة متّصفًا بصفة الملائكة .. فعصيان الله تعالى في حضرته ومن موقع صفة الملائكة ، يعني تمثّل صفة الشيطان تمثّلًا كاملاً ..

.. لا شك أن إبليس فردٌ من أفراد عالم الجنّ ، ولكنته حتى تلك اللحظة التي أمر الله تعالى بها الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، كان يتّصف بصفة الملائكة ، لأنه لم يعص الله تعالى أبداً قبل ذلك ، بدليل أن الله تعالى استثناه من الملائكة ..

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ

أَمْرِ رَبِّهِ ۗ ﴾ [الكهف : ٥٠]

.. فقله تعالى ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ ﴾ يؤكد أن إبليس كان قبل هذه المعصية ليس فاسقاً عن أمر ربه ، وبالتالي منصاعاً لأمر الله تعالى ، وبالتالي متّصفاً بصفة الملائكة .. وبعد معصيته هذه اتّصف بصفة الشيطان ، التي تناقض تماماً صفة الملائكة وتمثل إبليس لصفة الشيطان تمثلاً كاملاً - بعد معصيته - مسألة نراها نتيجةً طبيعيةً ، وذلك وفق منظرين ..

المنظار الأول : إبليس ينتمي إلى عالم الجنّ (عالم الماهية النارية) .. وفي عالمه هذا لا تُوجد - كما تُوجد عند عالم الإنس - الزوجية بين ماهيتي النفس والجسد ، وبالتالي فالمشيئة التي يمتلكها الإنسان والتي تمكّنه من التفاعل مع الجزئيات ، عبر تسخير الله تعالى للأسباب بين يديه لتحقيق مُراد نفسه ، غير موجودة عند عالم الجنّ .. فما هو موجود في ذوات كائنات عالم الجنّ هو الإرادة التي لا تتحوّل - في الحياة الدنيا - إلى مشيئة .. فكائنات عالم الجنّ تملك قدرةً على التفاعل مع الكليات ، دون التفاعل مع الجزئيات ..

.. وعظمة البيان الإلهي تُبين هذه الحقيقة بشكلٍ جليٍّ .. فلا يُوجد نصٌّ قرآنيٌّ يُبيّن أن عالم الجنّ والشيطان (الذي تمثّل صفته إبليس تمثلاً كاملاً) يملك مشيئةً .. في حين يُبيّن لنا القرآن الكريم أن للشيطان إرادة ..

﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ٦٠]

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴾

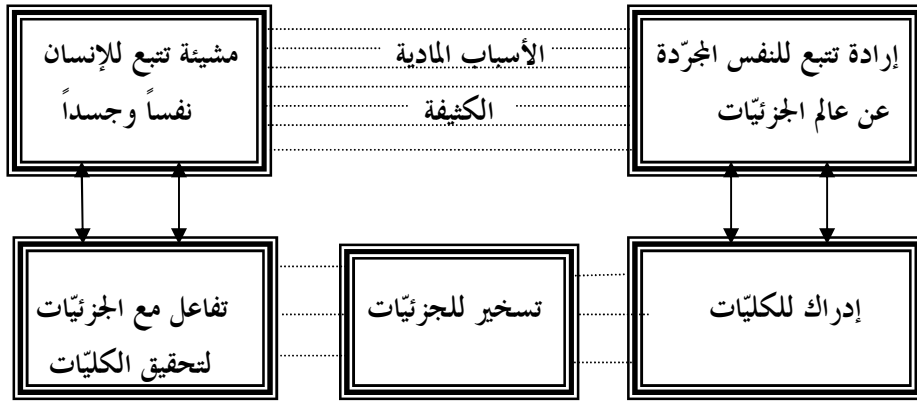
وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿ [المائدة : ٩١]

.. فصفة عالم المتناقضات (عالم الجزئيات) الذي ينتمي إليه الجسد ، والذي تستخدمه النفس البشرية في تحقيق إرادتها الواحدة بأسباب متناقضة ، هذه الصفة (التي تختلف عن صفة عالم النار الذي ينتمي إليه الجن) هي سبب جعل تحقيق إرادة الإنسان (في عالم الأسباب) أقرب إلى المتناقضات في الوقت ذاته ، مقارنةً مع تحقيق إرادة الجن ..

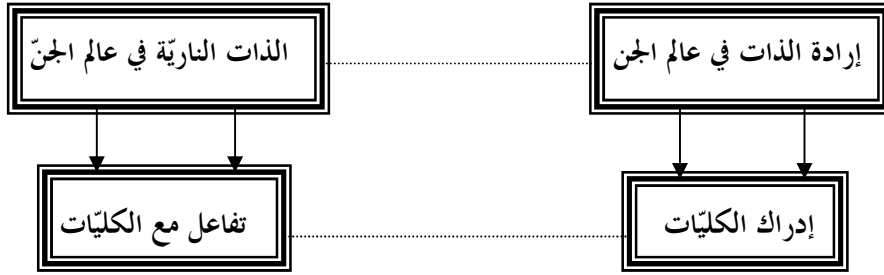
.. وهذا الاختلاف بين صفة عالم النار بالنسبة للجن ، وبين صفة عالم التراب (عالم الجزئيات المتناقضة) بالنسبة للجسد الحاوي للنفس البشرية ، يقتضي مسألة أخرى تُوصِل إلى النتيجة السابقة ذاتها .. فالنفس البشرية ذاتٌ مجردةٌ عن الزمان والمكان ، تخضع - حين مزاجتها مع الجسد - لقانون الزمان والمكان الثقيل كثيراً (مقارنةً مع عالم النار) ، وبالتالي فإمكانية التراجع عن الخطأ ، أو الدخول في الخطأ ، مسألةٌ فرصتها في الظهور أكبر بكثير مما هي في عالم الجن ..

بينما في عالم الجن ، لا ازدواجية من عالمين مختلفين - كما هو الحال في ازدواجية النفس والجسد عند الإنسان - وماهية الخلق أكثر شفافيةً ، وأكثر بعداً عن التحرك بين المتناقضات ، حيث لا مشيئة أصلاً ، وبالتالي أكثر بعداً عن التراجع في تمثّل الخطأ والصحّ .. فالفرد من عالم الجن فرصته في التراجع عن الخطأ والعكس ، أقلّ مما هي عند الإنسان ، وغوصه في جانبي الخير والشرّ هو بمسافةٍ أوسع مما هي عند الإنسان ..

.. وهذه الماهية الأكثر شفافيةً التي تميّز خلق الجن (مقارنةً مع خلق الإنسان) ، تقتضي شفافيةً أكبر ومسافةً أقلّ ما بين المقدمات والنتائج .. فالمعصية في عالم الجن تُعطي في جانب الشرّ تمثلاً لصفة الشيطان أكبر مما هو في عالم أقلّ شفافيةً كعاملنا ، لأنّ المراد كقيمةٍ معنويةٍ - سواءً للذات من عالم الجن أم للنفس البشرية المجردة - أقرب بكثير إلى الماهية النارية ، مقارنةً مع الماهية الترابية ..



(في عالم الإنس)



(في عالم الجن)

.. هذه الحقيقة في المقارنة بين عالمي الإنس والجنّ ، نراها واضحة تماماً في رحلة إبليس من صفة الملائكة إلى صفة الشيطان .. فإبليس في عالم الكليات والذي كان يتّصف بصفة الملائكة ، كان أقرب ما يكون إلى معرفة حقيقة المعصية ، وبالتالي نقلته معصيته لله تعالى من صفة الملائكة إلى صفة الشيطان نقلةً واحدةً ، بل وإلى تمثّل صفة الشيطان تمثّلاً كاملاً لا رجعة فيه ، بدليل طرده نهائياً من رحمة الله تعالى ..

.. من هنا نرى أن فارق التكليف بين عالمي الإنس والجنّ ، يتبع لفارق الخلق بين العالمين ، وللازدواجية بين النفس والجسد التي يتّصف بها الإنسان ، وغير الموجودة عند الجنّ ..

.. وهذا الفارق في ماهية الخلق بين عالمي الإنس والجنّ ، أشار إليه القرآن الكريم ..

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُدَبِّرًا لَمْ يَعْقِبْ ﴾ [النمل : ١٠]

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُدَبِّرًا لَمْ يَعْقِبْ ﴾ [القصص :

[٣١]

.. فاهتزاز عصا موسى عليه السلام بحيثية أدت به إلى أن يُولّى مُدبِّراً ولم يُعقَّب ، شبهه الله تعالى بالماهية النارية لعالم الجنّ ، من زاوية رؤيتنا لمحاولة تشكّلها المادي في عالمنا .. فالجنّ لا يستطيع أن يتخلّى عن طبيعته النارية ، وإن حاول التشكّل في عالمنا الكثيف مادياً ..

.. ومسألة عدم التحلّي عن ماهية الخلق ، نراها في معيار آخر ، هو تشكّل الملائكة (ككائنات نورانية) في عالمنا الماديّ .. فالملائكة لها ماهيتها الخاصة بها ، ولا تفقد ماهيتها حتى وإن تشكّلت بصور عالمنا الماديّ ..

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ

بِعَجَلٍ حَنِيزٍ ﴿٦٩﴾ فَأَمَّا رِءَا أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا

تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٦٩ - ٧٠]

ففي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا رِءَا أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾

، نرى إدراك إبراهيم عليه السلام لتمايز ماهية خلق ضيوفه (الملائكة) ، عن ماهية خلق غيرهم من ضيوفه البشر ..

.. ويبيّن الله تعالى هذا الفارق بين الماهيتين من خلال اختلاف صيغة مخاطبة السلام المتبادلة ما بين الملائكة (ضيوف إبراهيم عليه السلام) وما بين إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ .. فهم قالوا : ﴿ سَلَامًا ﴾ ، وهو قال : ﴿ سَلَامٌ ﴾ .. وهنا تكمن عظمة الصياغة القرآنية التي تُصوّر الأحداث كما هي تماماً ، تصويراً مُطلقاً يتعلّق بعظمة القائل سبحانه وتعالى ..

.. فأبراهيم عليه السلام ردّ عليهم قائلاً ﴿ سَلَامٌ ﴾ ، بمعنى : سلامٌ عليكم ، أو : أمرى سلامٌ .. أي أنّه عليه السلام نطق هذه الكلمة ﴿ سَلَامٌ ﴾ بحرفيتها كما هي تماماً .. بينما هم حينما خاطبوه بتحية السلام ، لم يخاطبوه بنطق هذه الحروف ذاتها ، فقد خاطبوه بماهيّة تُعطيهم السلام والطمأنينة والهدوء .. فقوله تعالى الذي يصف صيغة مخاطبتهم ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ، يحملُ معنى : أنّهم أعطوه الطمأنينة والأمان بما يحمل له السلام ..

وهذه المسألة وردت أيضاً في قوله تعالى :

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ [الذريات : ٢٥]

.. وخاطبه ضيوفه من الملائكة بهذه الطريقة مرّة أخرى :

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [الحجر : ٥٢]

وقد بيّن الله تعالى مسألة تمايز الماهية بين عالم الخلق والعوالم الأخرى ، حينما صوّر لنا إرسال جبريل عليه السلام (الروح الأمين) إلى مريم عليها السلام ..

﴿ فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧]

.. فالتمثل هنا كان بشرياً تاماً : ﴿ فتمثّل لها بشراً سوياً ﴾ ، وليس كتشكّل

الملائكة بالصور البشرية حينما أتت إبراهيم عليه السلام وأوحس منهم خيفة كما رأينا ..

فكلمة : ﴿ فتمثل ﴾ ، تعني الاقتراب من الصورة البشرية ، ولا تعني أبداً التحول إلى الماهية البشرية ..

.. والسامري بفتنته التي قام بها في بني إسرائيل ، إنما بصّر ما لم يُبصره غيره ، فالقبضة التي قبضها من أثر الرسول كماهية تنتمي للعوالم الأخرى ، لها معجزتها وماهيتها المتميزة عن ماهية عالم الخلق المحسوس الذي يعيشه من فتنوا بفتنته ..

﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنسِيَ

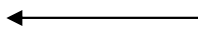
..... قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِرِيُّ ﴿٥٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ

فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿ [طه : ٨٨

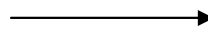
[٩٦ -

.. وهكذا فالانتقال من مرتبة من مراتب الوجود إلى مرتبة أخرى ، يؤدي إلى تغيير ماهية النوااميس التي تنضبط وفقها مكونات كل مرتبة من هذه المراتب .. فبالانتقال من الماهية الترايبية الكثيفة عند الإنسان إلى الماهية النارية الأكثر شفافية عند الجن ، يتم الابتعاد عن قانون الزمان والمكان الكثيف (عالم الجزئيات) ، مما يؤدي إلى اتساع أكبر بين رأسي محور الخير والشر .. وإنّ عدم امتلاك المشيئة - بالنسبة لعالم الجن - يقلل كثيراً من فرملة قوى الشر والخير في ذلك العالم ، لأنّ الجزئيات كحواجز تُعيق - نسبياً - تحقيق المراد ، غير موجودة في عالم الجن ..

إرادة قوى الشر



إرادة قوى الخير

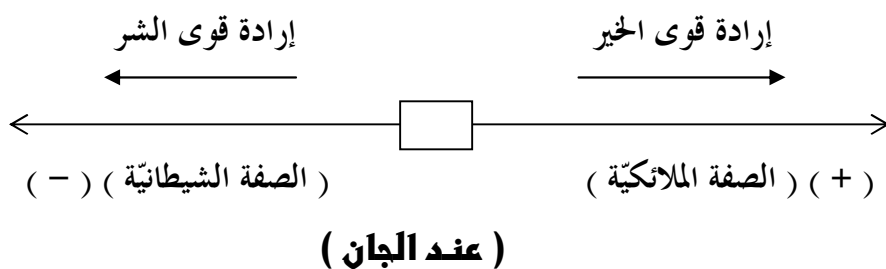


(الصفة الشيطانية)

(الصفة الملائكية)

..... : حواجز الجزئيات في طريق تحقيق كليّات الإرادة

(عند الإنسان)



.. هذا الاتساع ما بين نهائي محور قوى الخير والشرّ بالنسبة لعالم الجنّ مقارنةً مع عالم الإنس ، لإرادة ذاتها ، نتيجة شفافية ماهية عالم الجنّ بالنسبة لعالم الإنس ، ونتيجة عدم وجود حواجز الجزئيات أمام تحقيق المراد كما هو عند عالم الإنس .. نراه اتساعاً كاملاً بالنسبة لعالم الملائكة (الأكثر شفافية من عالم الجن) ، وفي الجانب الإيجابي فقط ، لأنّ الملائكة لا تملك إرادة شريرة ..

(الصفات الملائكية)



(+)

المنظار الثاني: تمثّل إبليس تمثلاً كاملاً لصفة الشيطان ، نراه من منظارٍ آخر هو طرده طرداً نهائياً من رحمة الله تعالى ، وتوعده بإغواء البشرية إلى يوم الدين ، واستحالة أيّ احتمالٍ لتوبته وعودته إلى الحقّ ..

﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الأعراف : ١٨]

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٥]

وفي الوقت ذاته نرى أنّ إمكانية التوبة (في عالم الإنس) مفتوحة حتى أمام أكثر الناس معصية ، فحتى فرعون أعلن تراجعاً في اللحظة الأخيرة ، ولكنها اللحظة التي لا

تنفع فيها التوبة ، وهي ذاتها اللحظة قبيل ترك النفس البشرية للجسد المادي الذي تُمتَحَن خلاله في حياتها الدنيا ..

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُوآ

إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْسَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [

يونس : ٩٠ - ٩١]

.. ووجود إبليس الذي يتمثل صفة الشيطان ، في هذه الدنيا ، حيث تركه الله تعالى إلى يوم البعث ، هو من أجل امتحان الله تعالى للبشر ، عبر تفاعلهم مع غواية إبليس ، ومع محاولته إبعادهم عن صراط الله تعالى المستقيم ، وليس من أجل امتحانه هو ، فمصيره محسومٌ ، وليس كمصير أفراد عالمي الإنس والجن المرتبط بعملهم والتزامهم بمنهج الله تعالى .. من هنا نستشف حقيقة التناظر بين ورود كلمة الشيطان ومشتقاتها في القرآن الكريم ، وبين ورود كلمة الملائكة ومشتقاتها فيه ، حيث ترد كلمة الشيطان ومشتقاتها في كتاب الله تعالى (٨٨) مرّة ، وترد كلمة الملائكة ومشتقاتها ترد أيضاً (٨٨) مرّة ..

.. وكلمة إبليس هي اسم الذات لهذا الفرد ، بدليل أن الله تعالى حينما خاطبه بأداة النداء خاطبه بهذا الاسم بالذات ..

﴿ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٣٢]

﴿ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَلاَ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ط ﴾ [ص : ٧٥]

وهكذا .. فصفة الشيطان هي صفة معنوية (غير مادية) ، والنفس البشرية - كما رأينا - مجردة عن المادة أيضاً .. ولذلك فعظمة البيان الإلهي تبين لنا أن مسألتي التسويل والوسوسة - كمسألتين معنويتين غير ماديتين - لا ترتبطان إلا بالشيطان وبالنفس البشرية ، فكلاهما (الشيطان والنفس البشرية) لا ينتميان إلى عالم المادة الكثيف الذي تنتمي إليه أجسادنا .. وها هي جميع مشتقات هاتين المسألتين في القرآن الكريم ..

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ [الأعراف : ٢٠]

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ﴾ [يوسف : ١٨]

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ﴾ [يوسف : ٨٣]

﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه : ٩٦]

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ [طه : ١٢٠]

﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٥]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ [ق : ١٦]

﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس : ٤ - ٦]

.. وهكذا نرى - كما رأينا في النظرية الثالثة (الحق المطلق) - أن الوجود في

الكون (مخلوق وغير مخلوق) يتكوّن من المراتب التالية :

[١] - الذات الإلهية وصفاتها : وهو وجود مطلق غير محكوم للمكان والزمان ،

وحاكم للزمان والمكان ..

[٢] - عالم الأمر (كالروح والقرآن الكريم) : وهو وجود غير محكوم للمكان

والزمان ، وفي الوقت ذاته ليس حاكماً للمكان والزمان ..

[٣] - عالم الخلق : وينقسم إلى قسمين :

[أ] - وجود مخلوق غير محسوس (كالنفس البشرية) ، وعلى الرغم من أنه

متحرّر من المكان والزمان ، إلا أنه يخضع للمكان والزمان حينما يُؤطرّ بجزئيات المادة في

عالم المادة والمكان والزمان ..

[ب] - وجود مخلوق محسوس ، وهو وجود محكوم لقوانين المكان والزمان ،

كأجسادنا المادية ..

